شرح حديث
شداد بن أوس

تأليف

الأمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي

الشهير بابن رجب الحنبلي

٧٤٦ - ٧٩٥ هـ

تحقيق

إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة للناشر

ولا يحق لأحد طباعته بدون إذن الناشر فقط

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فهو المهتدي ومن يُضلل فلا هادي له.

وأَشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

أما بعد:

فهذه رسالة من رسائل العلاَّمة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالىٰ حوت درراً نفيسة من مواعظ الأَقوال وعوالي الكلام، وما أَباحه الله سبحانه من البيان والسحر الحلال، نهجَ فيها ابن رجب أسلوبه المعتاد في شرح الأَحاديث المفردة بكلام ثمين، مستقياً مصادره من كتاب الله وماصحَّ من رواية عن رسول الله، ثم معرّجاً علىٰ أَقوال السلف الكِرام والصالحين وأَهل الحكمة مستأنساً بضعيف الروايات معطياً إيَّاها ما صحَّ من المعاني، متجنباً فيها الموضوعات، منمقاً شرحه بأَشعار الصالحين، وهذه عادته ودأبه في جميع رسائله.

ولقد ظلت هذه الوريقات المخطوطة عندي ردحاً من الزمن حتىٰ مَنّ الله سبحانه عليَّ بفضله وكرمه فيسَّر لي نسخها وضبطها والتعليق عليها، وتخريج رواياتها، بما فتحَ الله عليَّ، فإن أَصبتُ فتلك مِنّة الله عليَّ ولا حول لي ولاقوة: ﴿**وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب**﴾ وإن أخطأت وقصرت فهذا شأني ودأبي: ﴿**وما أُبرىء نفسي إن النفس لأَمارة بالسوء**﴾.

والله العزيز أسأل وبصفاته العليا أتوسل، أَن يلهمنا رشدنا ويتقبل عملنا ويسدد أقوالنا ويرزقنا فهماً صحيحاً لكتابه، وسنة نبيه، وعقلاً وافراً، إنَّه سميع مجيب.

وصف النسخة المعتمدة

لم أَعثر علىٰ مخطوطة لهذا الكتاب سوىٰ التي عندي وهذا ماأَشار إليه من أَلَّف في مؤلفات ابن رجب، ومخطوطتنا تقع في سبع ورقات ضمن مجاميع ضخمة تحمل الرقم (٤٧٧٦ مجاميع) من مخطوطات وزارة الأَوقاف في بغداد، خطُّها واضح، تعود إلى القرن الثاني عشر للهجرة، مسطرتها ٣٢ سطراً، كتبت آياتها باللون الأَحمر والأَصفر، والرسالة ناسخها إما أَحد الألوسيين، أَو أَحد علماء نجد، وذلك أني وجدت علىٰ بعض الهوامش تعليق لأَحد علماء أَلوس: «إما العلاَّمة محمود شكري الأَلوسي، أَو عمه نعمان الأَلوسي رحمهم الله» إِذْ أَن هؤلاء كانت لهم عناية متميزة في تلك الحقبة الزمنية في العراق بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن رجب الحنبلي، والإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب. هذه المجاميع تحتوي علىٰ رسائل ومسائل وفتاوىٰ لكل من شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، وللحافظ ابن رجب الحنبلي، وللإمام محمد بن عبدالوهاب، ورسائل مختصرة لعلماء نجد لكتابات ابن قيم الجوزية، وهذه النسخة عليها تملك لمفتي العراق آنذاك العلاَّمة

إبراهيم بن فصيح صبغة الله الحيدري، وعليها طرة باسمه.

وقبل إرسالي هـذه الرسالة عثرت علىٰ نسخـة أُخرىٰ تعود إلى إحدى مكتبات اسطنبول فُرِغ من كتابتها سنة ٨٩٣هـ بخط الناسخ عيسىٰ بن علـي بن محمد الحورانـي الدمشقي وهي مجـاميع تقع في ٢٧٥ ورقة تحتل رسالتنا الورقة ١٠٥ ـ ١٢١.

ترجمة المؤلف

* **اسمه ونسبه:** هو الإمام الحافظ العلامة زين الدِّين عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السّلامي البغدادي ثم الدمشقي، الحنبلي، الشهير بابن رجب، وهو لقب جده عبدالرحمن.

ولد سنة ٧٣٦هـ في بغداد بعد مرور ثمانين عاماً من سقوطها علىٰ يد المغول، رحل إلىٰ دمشق مع أبيه سنة ٧٤٤هـ، وسمع العلم بها وبالحجاز وبالقدس، ثم استقر بدمشق.

له شيوخ عدة، منهم الإمام ابن قيم الجوزية والعلائي، وتتلمذ عليه جمع من العلماء يطول ذكرهم.

* **ثناء أهل العلم عليه :**

* قال ابن ناصر الدين الدمشقي (الرد الوافر ص١٧٦): الشيخ الإمام العلاَّمة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة، أوعظ المسلمين، مفيد المحدثين، أحد الأئمة الزهاد والعلماء العبَّاد.

* الحافظ ابن حجر العسقلاني (الدرر الكامنة ٢/ ٣٢٢): الشيخ المحدِّث الحافظ، مهر في فنون الحديث إسماعاً ورجالاً وطرقاً واطِّلاعاً علىٰ معانيه، كان صاحب عبادة وتهجد.

* ابن فهد (لحظ الألحاظ ص١٨٠): الإمام الحافظ الحجة، والفقيه العمدة، أحد العلماء الزهاد والأئمة العبّاد، مفيد المحدِّثين، واعظ المسلمين.

* ابن مفلح (المقصد الأرشد ٢/ ٨١): الشيخ العلاَّمة الحافظ الزاهد شيخ الحنابلة.

وكذا أثنىٰ عليه السيوطي كما في (ذيل تذكرة الحفَّاظ) ص٣٦٧، والعليمي في (المنهج الأحمد) ٢/ ١٧٤، وابن العماد في: (شذرات الذهب) ٦/ ٣٣٩، وغيرهم كثير.

* **تصانيفه:** يُعدُّ ابن رجب من المتميزين في عصره بالتأليف فقد مهر في التفسير والحديث والفقه والتأريخ والرقائق.

(أ) علوم القرآن:

١ ـ تفسير سورة النصر ـ مطبوع.

٢ ـ تفسير سورة الإخلاص ـ مطبوع.

٣ ـ إعراب البسملة.
٤ ـ إعراب أم الكتاب.
٥ ـ تفسير سورة الفاتحة.
٦ ـ الاستغناء بالقرآن.

(ب) **الحديث:**

١ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري. وصل فيه إلى كتاب الجنائز، يوجد في الظاهرية نسخة منه وكذا في دار الكتب المصرية.
٢ ـ شرح جامع الترمذي. قال البعض: في نحو عشرين مجلداً، ولكنه مفقود، توجد منه عشر ورقات في المكتبة الظاهرية.
٢ ـ شرح علل الترمذي طبع أكثر من طبعة، أجودها بتحقيق الدكتور همام عبدالرحيم سعيد، كرسالة دكتوراه.
٤ ـ الحِكم الجديرة بالإذاعة ـ مطبوع.
٥ ـ شرح حديث : ماذئبان جائعان ـ مطبوع.
٦ ـ اختيار الأَولىٰ في شرح اختصام الملأ الأَعلىٰ ـ مطبوع.
٧ ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ـ مطبوع.
٨ ـ بيان فضل علم السلف علىٰ الخلف ـ مطبوع.

٩ ـ غاية النفع ـ مطبوع.
١٠ ـ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس ـ مطبوع.
١١ ـ كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ـ مطبوع.
١٢ ـ استنشاق نسيم الأُنس ـ مطبوع.
١٣ ـ شرح حديث شداد بن أوس، وهي رسالتنا هذه.
وهناك رسائل مخطوطة للشيخ لم تطبع بعد.

(جـ) الفقـــه :

١ ـ القواعد الفقهية ـ مطبوع.
٢ ـ الاستخراج في أَحكام الخراج ـ مطبوع.
٣ ـ أَحكام الخواتيم ـ مطبوع.
٤ ـ نزهة الأَسماع في مسألة السماع ـ مطبوع.
وله مؤلفات عدة في الفقه أكثرها مفقود.

(د) التراجم :

١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ـ مطبوع.
٢ ـ مختصر سيرة عمر بن عبدالعزيز ـ مطبوع.
٣ ـ سيرة عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز ـ مطبوع.
٤ ـ مشيخة ابن رجب.

٥ ـ وقعة بدر.

(هـ) الوعظ والفضائل والرقائق:

١ ـ لطائف المعارف ـ مطبوع.

٢ ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ـ مطبوع.

٣ ـ أهوال يوم القيامة ـ مطبوع.

٤ ـ أهوال القبور ـ مطبوع.

٥ ـ الفرق بين النصيحة والتعيير ـ مطبوع.

٦ ـ الذل والانكسار ـ مطبوع.

وهناك مؤلفات أُخرىٰ، منها: شرح الأربعين النووية، والذي أضاف إليه ابن رجب عشرة أحاديث وسمَّاها: الخمسين الرجبية، والكتاب مطبوع باسم جامع العلوم والحكم، حوىٰ فوائد حديثية وفقهية وسلوكية.

□ **وفاته:**

توفي الحافظ ابن رجب الحنبلي بدمشق سنة ٧٩٥هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير.

عملي في الرسالة

١ ـ خرَّجت الأَحاديث والآثار وحاولت جهد إمكاني أَن أَحكم علىٰ الحديث صحة وضعفاً.

٢ ـ عزوت الأَقوال والأَشعار ما استطعت إِلىٰ ذلك سبيلاً.

٣ ـ علَّقت تعليقات بسيطة علىٰ مارأيته مناسباً.

وأَخيراً أَسأل الله العظيم أَن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه ولايجعل لأَحد منه شيئاً.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد.

كتبه

أبو معاذ

إِيَاد بْن عَبْد اللَّطِيف بْن إِبْرَاهِيم القَيْسِي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال الشيخ الإمام العالم العلَّامة شيخ الإسلام أبو الفرج عبدالرحمن ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: خرج الإمام أحمد من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كنزَ الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات: اللهم إنِّي أسألك الثبات في الأَمر والعزيمة على الرشد، وأَسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأَسألك قلباً سليماً، وأَسألك لساناً صادقاً، وأَسألكَ من خير ما تعلم، وأَعوذ بك من شر ما تعلم، وأَستغفرك لما تعلم، إنَّكَ أَنت علاَّم الغيوب**»[(١)]. وخرجه الترمذي

---

(١) حديث شداد بن أوس، رواه الإمام أحمد في مسنده: (٤/ ١٢٣)، وأبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٦٦)، من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية: أن شداد... وهذا منقطع بين حسان وشداد لكن رواه الطبراني في «الكبير» [٧١٥٧]، وأبو نعيم في الحلية [١/ ٢٦٦]، من طريق سويد بن عبدالعزيز عن حسان بن مسلم بن مشكم عن شداد... وهذا سند متصل، لولا أنه من طريق سويد بن عبدالعزيز؛ فإنَّه لين الحديث. =

مختصراً[(١)]، وابن حبان[(٢)] في صحيحه، والحاكم[(٣)] وصححه، وله طرق متعددة عن شداد، وفي بعض طرقه: أَن النبي ﷺ علمهم أَن يدعوا بهذه الكلمات في الصلاة وفي دبر الصلاة[(٤)].

= ورواه الطبراني في «الكبير» [٧١٣٥]، من طريق إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عن أَبي الأَشعث عن شداد، وفيه محمد بن يزيد، ذكره ابن أَبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره أَبو نعيم في «الحلية» [١/ ٢٦٧]، من طريق محمد بن عبدالله الشعيثي عن شداد، ومحمد بن عبدالله لم يدرك شداداً.

ورواه الحاكم: (١/ ٥٠٨)، ومن طريقه: البيهقي في «الدعوات» ، من طريق عكرمة بن عمار قال: سمعت شداداً أبا عمار يحدث عن شداد، فذكره، والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي لكن شداد أبا عمار لم يدرك شداد بن أَوس.

والحديث حسن بهذهِ الطرق... وله شواهد كثيرة، لكن دون ذكر «كنز الذهب والفضة». انظر: صحيح الجامع (١١٩٠)، السلسلة الصحيحة (٩٥٩)، الإرواء (٤٠٤).

(١) الترمذي: (٣٤٦٨).

(٢) ابن حبان، موارد: (٢٤١٦).

(٣) الحاكم: (١/ ٥٠٨)، وصنيع المؤلف يوهم أَن الحاكم وابن حبان خرّجاه مختصراً، وليس كذلك.

(٤) الدعاء رواه النسائي: (٣/ ٥٤)، وفي عمل اليوم والليلة: (٨١٢)، وابن السني: (٧٤٦)، وتهذيب ابن عساكر: (٦/ ٢٩١، ٢٩٢)، وأَحمد: (١/ ١٢٥)، لكن في الإسناد مجهول.

فقوله ﷺ: «**إذا كنزَ الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات**﴾». إشارة إلى أن كنز هذه الكلمات أنفع من كنز الذهب والفضة؛ فإن هذه الكلمات نفعها يبقى، والذهب والفضة يفنىٰ، قال الله تعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً**﴾[١]. وقال: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾[٢].

وقد رُوِي أن سليمان بن داود عليه السلام مَرَّ في موكبه ومعه الإنس والجن بحرَّاث، فقال الحراث: «لقد أُوتي ابن داود ملكاً عظيماً»؛ فأتاه سليمان فقال له: «تسبيحة واحدة خير من ملك سليمان؛ لأن التسبيحة تبقىٰ وملك سليمان يفنى»[٣].

وفي الحديث المشهور عن ثوبان أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة**﴾[٤]. فقال النبي ﷺ: «**تبًّا للذهب والفضة**». قالوا: يارسول الله، فما نتخذ؟ قال: «**ليتخذ**

---

(١) الكهف: ٤٦.
(٢) النحل: ٩٦..
(٣) هذا من الإسرائيليات ذكره أبو نعيم في «زيادات الزهد» [٢١٠].
(٤) التوبة: ٣٤.

أَحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة صالحة تُعين أَحدكم على إيمانه»[١].

قال بعضهم: إنَّما سمي الذهب ذهباً؛ لأَنه يذهب، وسميت الفضة فضة لأَنها تنفض، يعني تنفض بسرعة، فلا بقاء لهما، فمن كنزهما فقد أَراد بقاء مالابقاء له، فإن نفعهما ماهو إلاَّ بإنفاقهما في

---

(١) رواه أَحمد (٥/ ٧٨، ٢٨٢)، الترمذي (٣٠٩٤)، وحسنه وابن ماجه (١٩٥٦)، وأَبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٢، ١٨٣)، والطبراني في الصغير (٢/ ٤٥): عن سالم بن أَبي الجعد عن ثوبان، وسالم لم يسمع من ثوبان كما قال البخاري، ورواه أَحمد (٥/ ٣٦٦) بسند فيه مجهول، لكن الأَلباني ــ رعاه الله ــ رجح في السلسلة الصحيحة (٢١٧٦)، بأَن المجهول هو سالم، وهو ثقة معروف، والحديث عزاه الأَلباني والإمام أَحمد عن مبهم من الصحابة، والصحابة كلهم عدول ثقات، إلاَّ أَن مايعكر هذا أَن التابعي عبدالله بن أَبي الهذيل قال: «حدثني صاحب لي»، وقد يكون صاحبه تابعي آخر، فلا أَدري كيف عرفوا أَنه صحابي، والله أَعلم.
ولكني ولله الحمد وجدت سنداً رجاله ثقات، رواه عبدالرزاق، قال: أَخبرنا الثوري أَخبرنا أَبو الحصين عن أَبي الضحىٰ عن جعدة بن هبيرة عن علي، وهؤلاء كوفيون ثقات.
وللحديث شواهد كثيرة، ذكرها السيوطي في «الدر المنثور».
والحديث صحيح، حسنه ابن حجر في «الأَحاديث العاليات»، والأَلباني.
والله أَعلم.

وجوه البر وسبل الخير.

وقال الحسن: بئس الرفيق الدرهم والدينار لاينفعانك حتى يفارقانك[١]، فما داما مكنوزين فما يضران ولاينفعان، وإنَّما نفعهما بإنفاقهما في الطاعات، قال الله تعالى: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ثم لاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يُحمىٰ عليها في نار جهنم**﴾[٢]. والآية ذم ووعيد لمن يمنع حقوق ماله الواجبة من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والإنفاق في النوائب.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ما مِن صَاحبِ ذهبٍ ولا فضةٍ لايؤدِّي مِنها حَقَّها إلَّا إذا كانَ يومُ القيامةِ صُفِّحت له صفائحُ من نارٍ فأحمي عليها في نار جهنَّم، فيكوىٰ بها جنبهُ وجبينهُ وظهره، كلما بَرَدَتْ أعيدت له، في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألف سنة، حتَّى يقضىٰ بين العبادِ، فيرىٰ سبيلهُ إما إلى الجنةِ وإما إلى النارِ**»[٣].

---

(١) قول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ ذكره أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٥).

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) رواه مسلم (٩٨٧)، عن أبي هريرة.

وفي صحيح البخاري عن أَبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من آتاهُ اللهُ مالاً فلم يُؤدِّ زكاتهُ مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شجاعاً أَقرع له زَبيبتان يُطوَّقهُ يومَ القيامةِ ثم يأخذُ بلهزمتيه، يعني شدقيه، ثمَّ يقول: أَنا مالُكَ، أَنا كنزكَ» ثم تلا: ﴿ولاتحسبنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[1].

وفيه أَيضاً عن أَبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يكون كنزُ أَحدكم يومَ القيامة شجاعاً أَقرع يفرُّ منه يوم القيامة ويطلبه، ويقول: أنا كنزك، فلا يزال يطلبه حتى يبسطَ يدَهُ فيُلقمها فاه»[2].

وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال: «ما من صاحب كنْزٍ لا يفعلُ فيه حقهُ إلَّا جاءَ كنزه يوم القيامة شجاعاً أَقرعَ يتبعهُ فاتحاً فاهُ، فإذا أَتاهُ فرَّ منه، فيناديهِ: خذ كنزك الذي خَبأتَهُ فأَنا عنه غني، فإذا رأى أَن لابدَّ له منهُ سلكَ يده في فيه فيقضمها قضمَ

---

(١) الآية في آل عمران: ١٨٠، والحديث رواه البخاري (١٤٠٣، ٤٥٦٥)، عن أَبي هريرة.

(٢) البخاري (٦٩٥٧)، عن أَبي هريرة، إلَّا أَنه قال: (صاحبه)، بدلاً من: (يوم القيامة).

الفحْلِ»[١]. والشجاع: الحية الذكر، والأَقرع: الذي قد تمعّط شعر فروة رأسه لكثرة سمه[٢].

فلهذا ورد الشرع باكتنازما يبقىٰ نفعه بعد الموت من الإيمان والأَعمال الصالحة والكلمات الطيبة، فإن نفع ذلك يبقى وبه يحصل الغنىٰ الأَكبر، قال ابن مسعود: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها من آخر الليل[٣]. وآخر سورة البقرة من كنز تحت العرش أعطيته هذه الأُمة مع سورة الفاتحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة[٤].

---

(١) رواه مسلم [٩٨٨]، وبدايته: «ما من صاحب إبل... ولا صاحب كنز... عن جابر.

(٢) هذه التفاسير لهذه الألفاظ ذكرها أبو عبيد في «غريب الحديث»، والأزهري في «التهذيب»، يراجع الفتح: (٣/ ٢٧٠).

(٣) أثر ابن مسعود، ذكره الدارمي في سننه [٣٣٩٣]، وأبو عبيد في «فضائل القرآن»، والبيهقي في «الشعب».

(٤) أما نهاية سورة البقرة، فقد ذكر أكثر من حديث في هذا الباب، ذكرها ابن كثير والسيوطي في «الدر المنثور» وغيرهم، أما الفاتحة فكونها كنز من تحت العرش، فهناك روايات في الدر لاتبلغ درجة الصحة، أما الحوقلة (لاحول ولاقوة إلا بالله) فحديثها ثابت في هذا الباب.

وفي بعض الآثار الإسرائيلية: كنز المؤمن ربه. يعني أنه لايكنز سوىٰ طاعته وخشيته ومحبته والتقرب إليه، فمن كان كنزه ربه وجده وقت حاجته إليه، كما في وصية النبي ﷺ لابن عباس: «**احفظِ اللهَ يَحْفَظكَ، احفظِ الله تجدْهُ أمامَكَ، تعرَّف إلى الله في الرّخاء يعرفكَ في الشّدَّةِ**»(١).

أَنت كنزي، أَنت ذخري، أَنت عزي، كيف أَخشى الفقر إذا كنت أَمني عند فقري، من كان الله كنزه فقد ظفر بالغنى الأَكبر، قال بعض العارفين:

من استغنىٰ بالله أمن من العدم

ومن لزم الباب أثبت في الخدم

---

(١) حديث ابن عباس معروف رواه الإمام أحمد: (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٤ ط أحمد شاكر، الترمذي: (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، والطبراني في «الكبير» [١١٢٤٣، ١١٤١٦، ١١٥٦٠، ١٢٩٨٨، ١٢٩٨٩] ابن أبي حاتم في علل الحديث، [١٨٤٤]، أبو نعيم في «الحلية» [١/ ٣١٤]، القضاعي في «مسند الشهاب» [٧٤٥]، والبغوي في «السنة» [٢/ ١٢٣]، والحاكم في «المستدرك» [٣/ ٥٤١]، والعقيلي في «الضعفاء» [٣/ ٣٩٨].

والحديث حسن كما بيّن ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»، وقد =

ومن أكثر ذكر المـــوت أكثـر من الندم
تنقضـي الـــدنيـــا والفتىٰ فيهـــا معنًّـــا
ليـس في الـــدنيـا نعيـم ولا عيـش مهنًّـا
ياغنيًّا بالدنانير فحب الله أغنىٰ

والمقصود هنا شرح الكلمات التي أمر ﷺ بكنزهـا وأشار إلى أن نفعها خيـر من الـذهب والفضة، وهـي تتضمن طلب العبـد من ربه لأهم الأمور الدينية.

فقوله ﷺ: «**أسألكَ الثبات في الأمر**» المراد بالأمر: الـدين والطاعة، فسـأل الثبات علـى الـدين إلى الممـات: ﴿**إن الـذين قـالـوا ربنـا الله ثم استقاموا**﴾[1]. الذين: قالوا (ربنا الله) كثير، ولكن أهل الاستقامة قليل، كان عمـر يقـول فـي خطبتـه: «اللهم اعصمنـا بحفظك وثبتنـا علـى أمـرك»؛ فالاستقامة والثبات لا قدرة للعبد عليه بنفسه، فلذلك يحتاج أن يسأل ربه.

كان الحسـن إذا قرأ: ﴿**إن الذيـن قالوا ربنـا الله ثم استقـاموا**﴾ يقول: اللهم أنتَ ربنا فـارزقنا الاستقامة[2]. كان النبي ﷺ كثيراً ما

= شرح ابن رجب الحديث مرتين: مـرة في «جامع العلوم والحكم»، ومرة في رسالة مستقلة، سماها: «نور الاقتباس» وهي مطبوعة.

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) قول الحسن ذكره ابن كثير في تفسير هذه الآية.

يقول: «**يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[(١)]. فقيل له في ذلك فقال: «**إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه**»، وفي رواية للترمذي[(٢)]: قلنا: يارسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ فقال: «نعم..» ثم ذكر الحديث.

كيف يا من قلبه بين إصبعين؟ كيف يطيب عيش من لايدري بما يختم له؟ كم من عامل خاشع وقع على قصة عمله: ﴿**عاملة ناصبة تصلىٰ ناراً حامية**﴾، رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وقائم حظه من قيامه السهر، كان بعض الصالحين يسرد

---

(١) حديث تقليب القلوب ورد بألفاظ مختلفة وعن عدة من الأصحاب منهم: عائشة، النواس، أبو هريرة، أم سلمة، أنس، وغيرهم، والحديث رواه أحمد: (٣/ ١١٢)، (٤/ ١٨٢)، (٦/ ٩١، ٢٥١، ٢٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (١/ ١٠١) (١/ ١٠٣)، (١/ ١٠٤) والحاكم: (٢/ ٢٨٨، ٢٨٩)، والطبراني في «الكبير»: (٧٥٩، ٧٢٣٢)، والآجري في «الشريعة»: (٣١٧)، والطبري في تفسيره: (٣/ ١٢٥)، والبغوي في «شرح السنة»: (١/ ١٦٥، ١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية: (٨/ ١٢٢)، وابن عدي: (٦/ ٢٢٥٢)، «والإيمان» لابن أبي شيبة، (٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨)، والدولابي في «الكنى»: (٢/ ٩١)، وعبدالرزاق في «المصنف»: (١٩٦٤٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣٦، ٣٧، ٢٠٩، ٢١٠)، (١١/ ٣٧).

(٢) والترمذي: (٢١٤٠)، وحسنه، عن أنس.

الصيام فإذا أفطرَ بكىٰ، ويقول: أخشىٰ أن يكون حظي منه الجوع والعطش.

في الصحيح: «**إن أحدكم ليعمَلُ بعمل أهلِ الجنّةِ حتّى ما يبقىٰ بينه وبينها إلّاذراع ثم يسبقُ عليه الكتاب**»[١]. كم من عامل يعمل الخير إذا بقي بينه وبين الجنة ذراع وشارف مركبه ساحل النجاة ضربه موج الهوىٰ فغرق.

المحنة العظمىٰ أن أمرك كله بيد من لايبالي بوجودك ولاعدمك، كم أهلك قبلك مثلك، ﴿**قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً**﴾[٢]. كان الحسن يبكي ويطيل البكاء ويقول: «أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي»[٣]. قال أبو الدرداء: ما أهون العباد على الله إذا

---

(١) الحديث متفق عليه، رواه البخاري (٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣)، والإمام أحمد (١/ ٣٨٢، ٤٣٠)، وغيرهم.

(٢) المائدة: ١٧.

(٣) هذا الأثر ذكره ابن القيم في «الجواب الكافي» ولم أجد مظانه لقلة المراجع، والله المستعان.

عصوه[١].

يـا قلـب لِـمَ تطـالبني بلقـاء الأَحبـاب وقـد رحلـوا
أَرسلتـك في طلبـي لهم لتعـود فضعـت ومـا حصلـوا
سلم واصبـر واخضـع لهم كم مثلـك قبلك قـد قتلـوا
مـا أَحسـن مـا عقلـت بـه آمـالـك منهم لـو فعلـوا

العبد يحتـاج إلى الثبات طـول حياته، وأَحـوج ما يحتـاج إليه عنـد مماتـه، في الطبـراني: «**لقنـوا موتـاكم لا إلـه إلَّا الله؛ وقولـوا: الثبات، الثبات، ولا قـوة إلَّا بالله**»[٢]. ويحتاج إلى الثبـات أَيضاً بعد الموت، قـال الله تعالى: ﴿**يثبت الله الذيـن آمنوا بالقول الثـابت في**

(١) قول الصحـابي أَبي الدرداء ذكره ابـن عساكر (١٣/ ٣٨٩/ ١)، عنـدما فتح المسلمون قبرص.

(٢) الحـديـث بهـذا اللفـظ ذكـره الطبـراني فـي «الصغيـر» (٢/ ١٢٥)، وفـي «الأَوسط» بنفس السنـد وفيه عمر بن صهبان المـدني (وقد يدعـىٰ عمر بن محمـد بن صهبـان المـدني) وهـو ضعيـف جدًّا، وبـه أَعلـه الهيثمـي في المجمـع، يـراجع لتـرجمتـه الميـزان: (٣/ ٢٠٧، ٢٢٠)، والتهـذيـب: (٧/ ٤٠٨). والثابت في هذا الباب مارواه مسلم وغيـره «لقنوا موتاكم لا إله إلَّا الله» وهو المحفوظ، أَمـا هذه الرواية فمنكرة لمخـالفة الضعيف الثقات. ولعلَّ ابن رجب أَوردها لوجه لفظ الثبات.

الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[١]. وفي الصحيح: أنها نزلت في سؤال القبر، يُسأل المؤمن في قبره فيشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله[٢].

وفي سنن أبي داود أنه ﷺ كان إذا دفن الميت يقول: «**سلوا له التثبيت فإنَّه الآن يُسأل**»[٣]. من دخل في الطاعة فهو يحتاج إلى الثبات عليها، يامعشر التائبين: أنتم تقاتلون جنود الهوى بجنود التقوىٰ، فاصبروا وصابروا ورابطوا ،لاتقولوا: جنود الهوىٰ لا طاقة لنا بها، ولكن اصبروا إن الله مع الصابرين، ياجنود العزائم اثبتوا واحذروا هتيكة الهزيمة: ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾[٤].

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم عن البراء.

(٣) أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم (١/ ٣٧٠)، وصححه ووافقه الذهبي. والبيهقي (٤/ ٥٦): عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال النووي: «(٥/ ٢٩٢) إسناده جيد، والحديث صححه الألباني وغيره، والله أعلم.

(٤) الأنفال: ٦٥.

لا تَجْزعَنْ من كل خطب عرا ولا تُرِ الأعداء ما يُشمتُ[١]
ياقوم بالصبر ينالُ المنىٰ إذا لقيتُم فِئَةً فاثبتوا

ياقوم: الثبات الثبات، والمداومة المداومة إلى الممات، أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل، قال الحسن: «إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت» ثم قرأ: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾[٢].

في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**سدِّدوا وقاربوا واغدُوا وروحوا وشيء من الدُّلجة، والقصد القصدَ تبلغوا**»[٣].

يامعشر التائبين: صوموا اليوم عن شهوات الهوىٰ لتدركوا عيد

---

(١) ذكر ابن رجب هذا الشعر، وقال بعضهم في «نور الاقتباس» ص٤٨، ونصه في المخطوط والمطبوع هكذا:
لا تجزعن من كل خطب عرا ولا ترى الأعداء ما يشمتوا
وهذا لايجوز لغة، فصححناه.

(٢) أثر الحسن رواه ابن المبارك في الزهد (١٨) (١٩)، مرة القول دون الآية، ومرة الآية، وفسرها وكذا ذكره أحمد في الزهد: (٣٣٣).

(٣) رواه البخاري: (٦٤٦٣)، وأحمد: (٥/ ٢٣٧، ٥١٤)، وهناك ألفاظ كثيرة رواها البخاري وغيره. وهذا الحديث شرحه ابن رجب في رسالة مستقلة مطبوعة: «المحجة في سير الدلجة».

الفطر يوم اللقاء، لايطولن عليكم الأَمد باستبطاء الأَجل، فإن معظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب.

وما هي إلاَّ ساعة ثم تنقضي ... ويذهب هذا كله ويزُولُ[١]

﴿يا أيها الإنسان إنَّك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾[٢]، ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أَجل الله لآت﴾[٣]. من سار في طريق العبودية إلى لقاء الحبيب فلابد من مواصلة السير حتى يصل، فإن وقف في الطريق أَو رَجعَ هلكَ، فإن اشتدَّ عليه أَلم السير فليذكر راحة الوصول وقد زال التعب:

لها أَحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ... وقت المسير وفي أَعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أَوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد[٤]

قوله ﷺ: «**والعزيمة على الرشد**»، الرشد مبدأ الخير، فإن

---

(١) ذكر هذا الشعر ابن رجب في «نور الاقتباس» ونسبه: «قال بعضهم».
(٢) الانشقاق: ٦.
(٣) العنكبوت: ٥.
(٤) هذا الشعر يذكره ابن رجب مراراً في اللطائف، ومن قبله شيخه ابن القيم في «رسالة السماع»، وغيرها.

الإنسان قد يعلم الرشد وليس له عليه عزم، فإذا عزمَ على فعله أفلح، والعزيمة: هي القصد الجازم المتصل بالفعل، وقيل: استجماع قوىٰ الإرادة على الفعل، ولاقدرة للعبد على ذلك إلاَّ بالله، فلهذا كان من أهم الأُمور سؤال الله العزيمة على الرشد.

وفي المسند عن عمران بن حصين قال لرجل: «**قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أَرشد أَمري**»[1]. فالعبد يحتاج إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه في تحصيل العزم، وفي العمل بمقتضىٰ العزم بعد حصول العزم، قال الله: ﴿**فإذا عزمت فتوكل**

---

(١) رواه الترمذي: (٣٤٨٣)، والطبراني في «الكبير»: (١٨/ رقم٣٩٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٥٣٤)، والحديث فيه شبيب بن شيبة وهو ضعيف، وفيه سماع الحسن من عمران بن الحصين، وهذا فيه كلام عند أهل العلم. وحتىٰ على رأي ابن معين، الذي قال عن سماع الحسن من عمران: «أما في حديث البصريين: فلا، وأما في حديث الكوفيين: فنعم»، وهذا من أحاديث البصريين؛ فإن شبيب بصري ضعيف. والعلة الثالثة عنعنة الحسن، وهو معروف بالتدليس. ولكن للحديث شواهد، رواها الإمام أحمد: (٤/ ٤٤٤)، والحاكم: (١/ ٥٠١)، وقال: على شرطهما، ووافقه الذهبي، وكذا ابن حبان في صحيحه، لذا فالحديث حسن؛ فقد حسّنه ابن حجر في «أمالي الأذكار»، وحسنه غيره، والله أعلم.

على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[١].

والرشد: هو طاعة الله ورسوله، قال الله تعالى: **﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾**[٢]. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «**من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصِ الله ورسوله فقد غوى**»[٣]. والرشد ضد الغي، قال تعالىٰ: **﴿قد تبيَّن الرشد من الغي﴾**[٤]. فمن لم يكن رشيداً فهو إما غاوٍ وإما ضال؛ كما قال تعالى: **﴿ما ضل صاحبكم وما غوىٰ﴾**[٥]. فالغاوي: من تعمد خلاف الحق، والضال: من لم يتعمد.

والعزم نوعان: أحدهما: عزم المريد[٦] على الدخول في

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) هذا فيه أحاديث كثيرة، منها: مارواه مسلم (٨٧٠)، وأحمد (٤/ ٢٥٦)، وغيرهم.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

(٥) النجم: ٢.

(٦) يعني بالمريد: «من أراد سلوك طريق الخير والنجاة»،لا ما يعنيه أرباب التصوف، ولعلَّ الشيخ ابن رجب، وشيخه ابن القيم، وشيخ الإسلام =

الطريق، وهو من البدايات.

والثاني: العزم على الاستمرار على الطاعات بعد الدخول فيها، وعلى الانتقال من حال كامل إلى حال أكمل منه، وهو من النهايات؛ ولهذا سمىٰ الله تعالى خواص الرسل وهم أُولو العزم، وهم خمسة، وهم أفضل الرسل، فالعزم الأول يحصل للعبد الدخول في كل خير والتباعد من كل شر؛ إذْ به يحصل للكافر الخروج من الكفر والدخول في الإسلام، وبه يحصل للعاصي الخروج من المعصية والدخول في الطاعة، فإذا كانت العزيمة صادقة، وصمم عليها صاحبها، وحمل على هوى نفسه وعلى الشيطان حملة صادقة ودخل فيما أُمِرَ به من الطاعات؛ فقد فاز. وعون الله للعبد على قدر قوة عزيمته وضعفها، فمن صمم على إرادة الخير أعانه وثبته؛ كما قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم[1].

= ابن تيمية ــ رحمهم الله جميعاً ـ يستعملون ألفاظ التصوف؛ لشيوعه في زمانهم، وانتشاره، وسطوته علىٰ قلوب الناس والحكّام، هذا الأمر جعل أهل العلم يستعملون هذه المصطلحات، واستبدال معانيها الباطلة بمعاني حقّة؛ وهو من فقههم ـ رحمهم الله ـ.

(١) هذا الشعر مشهور للمتنبي، في مدح سيف الدولة الحمداني.

لما أُفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بعد سليمان بن عبدالملك فأول ما اشتغل بدفن سليمان، فلما رجع من دفنه فصفت له مراكب الخلافة، فوقف وأنشد:

ولولا النهى ثم التقىٰ خشية الرزىٰ

لعصيت في حب الصبا كل زاجر

قضىٰ ما قضىٰ فيما مضىٰ ثم لاترىٰ

له صبوة أُخرىٰ الليالي الغوابر

ثم قال: ما شاء الله، لا قوة إلَّا بالله، قربوا لي بغلي، فركب دابته التي كان يركبها أولاً، وسار مستصحباً لتلك العزيمة، فعلم الله صدقه فيها فأعانه عليها، فأول ما بدا منه أنه ساربين يديه أهل الموكب فنحاهم وقال: إنما أنا رجل من المسلمين، ثم نزل فقعد، فقام الناس بين يديه، فأُقعدوا. قال: إنَّما يقوم الناس لرب العالمين. ثم عزم على ردّ المظالم فأدركته القائلة، وكان قد تعب وسهر تلك الليلة لموت سليمان بن عبدالملك، فدخل ليقيل ثم يخرج فيرد المظالم وقت صلاة الظهر، فجاء ابنه عبدالملك فقال: أتنام ومارددت المظالم؟ فقال: إذا صليت الظهر رددتها، فقال

عبدالملك: ومن لك أَن تعيش إلى الظهر؟ وإن عشت فمن لك أَن تبقى لك نيتك؟ فقام وخرج ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ورد المظالم، وجاء بكتب القرى والأَملاك التي كانت في يده من أَقطاع بني أُمية فمزقها، وردّ تلك القرىٰ كلها إلى بيت مال المسلمين، وكان يقول: إني لي نفساً تواقة ما نالت شيئاً إلَّا تاقت إلى ما هو أَفضل منه، فلما نالت الخلافة وليس فوقها في الدنيا منزلة تاقت إلى الآخرة:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأَجساد[1]

لما ولي الخلافة سمعوا في بيته صريخاً عالياً من النساء، فَسُئِلَ عن ذلك، فقيل له خبر امرأته وجواريه فقال: من أَرادت منكن أَن تذهب فلتذهب، ومن أَرادت أَن تقيم فلتقم وليس لها مني نصيب، فإني قد نزل بي أَمر شغلني عنكن، فبكين إياساً منه.

ذاكروه مرة شيئاً مما كان فيه قبل الخلافة من النعيم فبكى

---

(١) هذا الشعر للمتنبي أيضاً، ولكنه بلفظ «الأَجسام»، وكرره ابن رجب أَكثر من مرة بلفظ «الأَجساد».

حتى بكى الدم، وكان أكثر ما يقتات به حال خلافته العدس والزيت، فإذا عوتب على ذلك يقول: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غداً في النار.

ودخلَ مرة على بناته وقد كن تعشين بعدس فيه بصل فكرهن أن يشم منهن رائحة ذلك، فلما رأينه هربن، فبكىٰ وقال: يابناتي، إما تفعلن أن تتعشين الألوان ويذهب بأبيكن إلى النار. وكان يقول لأولاده: إن أباكم خُيِّرَ بين أن تفتقروا، ويدخل الجنة، وبين أن تستغنوا ويدخل النار، فاختار أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه[1]:

كم أحمل في هواكم ذلاً وعنا ... كما أصبر فيكم تحت ضُرٍّ وضنا

لا تطردوني فليس لي عنكم غنا ... خذوا روحي إن أردتم لروحي ثمنا[2].

---

(١) أخبار الخليفة الراشد «عمر بن عبدالعزيز»، يراجع فيها: «سيرة عمر بن عبدالعزيز»، لابن عبدالحكم ولابن الجوزي، وكذا «حلية الأولياء»: (٥/ ٢٥٣)، والطبري (٦/ ٥٦٥)، وابن الأثير: (٥/ ٥٨)، وسير الأعلام: (٥/ ١١٤)، للذهبي.

(٢) هذا الشعر أورده ابن رجب في «نور الاقتباس»، ولكنه غير موزون، ولعله هنا أوزن.

كان يقول لبعض أَعوانه: إذا رأيتني ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني وقل: ما تصنع ياعمر؟

من أَجلك قد أَنزلت خدِّي أَرضا ... للشامت والحسود حتى ترضىٰ
مولاي إلى متى بهذا أَحظىٰ ... عمري يفنىٰ وحاجتي ما تقضىٰ
لا زال ينحل جسمه حتى ... كانت أَضلاعه.....
حبي والفراق أَورثاني سقما ... هذا جسدي يعد عظماً عظماً
دعني فالشوق قد كفاني خصماً ... ياسهم البين قد أَصبت المرمىٰ
خفي شجي ولوعتي بتلون ... ولدمع ينم بالذي أخفيه
قلبي قلق بحب من يضنيه ... لا أعذله فما به يكفيه
كم كان يعذل على حاله ويُلام ... والمحبة تنهاه أَن يصغى إلى عاذل أَو ملام
لو قطعني الغرام إرباً إرباً ... ماازددت على الملام إلا حبًّا
لازلت بكم أَسير وجد الصبا ... حتى أَقضي على هواكم نحبا[1]

مازالت به المحبة حتى رقته إلى درجة الرضا بمُرِّ القضاء فكان يقول: أصبحت ومالي سرور في غير مواضع القضاء والقدر.

---

(١) عزىٰ ابن رجب هذا الشعر في «نور الاقتباس» إلى فتح الموصلي، وذكر بيتين منه، والشعر أَقرب للكلام الموزون منه إلى النظم. وقد حاولت معرفة بقية الشعر، لتفادي السقط، فلم أُوفق.

ومات أَعوانه على الخير كلهم في أَيام متوالية؛ ابنه عبدالملك، وأَخوه سهل، ومولاه مزاحم، فكان يقول بعد موتهم في مناجاته: إن تعلم ما ازددت لك إلاَّ حبًّا ولافيما عندك إلاَّ رغبة.

ولما دفن ابنه عبدالملك، وكان أَحب الخلق إليه، قال: مازلت أَرىٰ فيه السرور وقرة العين من يوم ولد إلى يومي هذا، فما رأيت فيه أَمراً قط أَقر لعيني من أَمر رأيته فيه اليوم. وكتب إلى الأَمصار: أَن الله أَحب قبضه، وأَعوذ بالله أَن تكون لي محبة في شيء من الأُمور تخالف محبة الله، فإن خلاف ذلك لايصلح في بلائه عندي وإحسانه إليَّ ونعمته علي:

إن كان سكان الغضىٰ ... رضوا بقتلي فرضا
والله لاكنت لما ... تهوى الحبيب مبغضا
صرت لهم عبداً وما ... للعبد أَن يعترضا[1]

إخواني، الخير كله منوط بالعزيمة الصادقة على الرشد، وهي

(١) هذا الشعر ذكره ابن رجب في رسالته: «استنشاق نسيم الأُنس»، وصححت بعض كلماته منه، ومن «نور الاقتباس».

الحملة الأُولىٰ التي تهزم جيوش الباطل وتوجب الغلبة لجيوش الحق:

زجر الحق فؤادي فارعوىٰ وأَفاق القلب مني وصحا

هزم العزم جيوشاً للهوىٰ سادتي لاتعجبوا إن صلحا

قال أَبو حازم[1]: إذا عزَمَ العبد على ترك الآثام أتته الفتوح. يشير إلى مايفتح عليه بتيسير الإنابة والطاعة ومقامات العارفين، سُئِلَ بعض السلف: متى ترتحل الدُّنيا من القلب؟ قال: إذا وقعت العزيمة؛ ترحلت الدُّنيا من القلب ودرجَ القلب في ملكوت السماء، وإذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب ورجع إلى الدُّنيا، من صدق العزيمة يئس منه الشيطان، ومتى كان العبد متردداً طمع فيه

---

(١) هو «سلمة بن دينار» الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، تابعي صغير، وُلِدَ في أيام ابن الزبير، كان ثقة كثير الحديث، أَقواله كلها حكم، حديثه في الكتب الستة، توفي سنة: ١٤٠هـ، وقيل: ١٣٣ هـ، وقيل: ١٣٥، هـ وقيل: ١٤٤هـ، يُراجع لترجمته «حلية الأولياء» (٣/ ٢٢٩)، «تذكرة الحفاظ»: (١/ ١٣٣)، «تهذيب التهذيب»: (٤/ ١٤٣)، «سير أَعلام النبلاء»: (٦/ ٩٦).

الشيطان وسوّفه ومنّاه، ياهذا: كلما رآك الشيطان قد خرجت من مجلس الذكر كما دخلت وأنت غير عازم على الرشد فرح بك إبليس وقال: فديت من لايفلح.

يامن شاب ولاتاب، ولاعزم على الرُّشد ولاأناب، لقد أفرحت الشيطان وأسخطت الرحمن:

وإذا تكامل الإنسان من عمره ... خمسون وهوإلى التقىٰ لم يجنح
عكفت عليه المخزيات فما له ... متأخر عنها ولا متزحزح
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه ... حَيَّا وقال فديت من لايفلح[1]

قوله ﷺ: «**وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك**» هذا كما وصَّى النبي ﷺ معاذاً أن يقول في دُبر كل صلاة: «**اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[2]. فهذان أمران: أحدهما شكر

---

(١) هذا الشعر أورده ابن رجب في: «لطائف المعارف»، والتصحيح من هنالك.

(٢) الحديث معروف من وصية النبي ﷺ لمعاذ، وكذا روي من ـ دعاء الرسول ـ عن أبي هريرة، وكلاهما صحيح ،رواه الإمام أحمد: (٥/ ٢٤٤، ٢٤٧)، (٢/ ٢٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٠/ ٢٨٤، ٤٢٧)، وأبو داود: (١٥٢٢)، وابن أبي الدنيا في «الشكر»: (٤/ ١٠٩)، وأبو يعلىٰ والبيهقي، =

المنعم، وهو مأمور به؛ قال تعالى: ﴿واشكروا لي ولاتكفرون﴾[١]، وقال: ﴿واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾[٢].

والشكر بالقلب واللسان، والعمل بالجوارح؛ فالشكر بالقلب: الاعتراف بالنعم للمنعم، وأنها منه وبفضله. وجاء من حديث عائشة مرفوعاً: «**ماأنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلاَّ كتب الله له شكرها**»[٣].

ومن الشكر بالقلب: محبة الله على نعمه؛ ومنه حديث ابن عباس المرفوع: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة**»[٤]. قال

= في: «الشعب»، وأبو نعيم في: «الحلية» (١/ ٢٤١)، (٥/ ١٣٠) (٩/ ٢٢٣)، وفي أخبار أصبهان: (٢/ ٢٤١)، والحاكم: (١/ ٧٣)، (٢/ ٢٧٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن خزيمة: (١/ ٣٦٩)، وابن السني في: «عمل اليوم والليلة»: (١١٨)، والخطيب في تاريخه: (٥/ ١٥٨).

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) النحل: ١١٤.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٧)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٤١)، بمعناه، والبيهقي في «الشعب»، وفيه هشام بن زياد، وهو متروك، وروي موقوفاً على عائشة، ولكنه من طريق هشام أيضاً.

(٤) رواه الترمذي: (٣٨٧٨)، وقال: «حسن غريب»، ورواه الطبراني: =

بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها فواعجباً لمن لايرىٰ محسناً إلاَّ الله! كيف لايميل بكليته إليه! وقال بعضهم:

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة لمؤتيكها حبًّا فلست بشاكر

إذا أنت لم تؤثر رضا الله وحده على كل ما تهوىٰ فلست بصابر

والشكر باللسان: الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها، قال الله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدِّث﴾[1]. وفي حديث

= (٢٦٣٩)، (١٠٦٦٤)، والحاكم: (٣/ ١٥٠)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في «الحلية»: (٣/ ٢١١)، والخطيب في «تاريخ بغداد»: (٤/ ١٦٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية»: (١/ ٢٦٥ - ٢٦٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير»: (١/ ١٨٣)، والذهبي في «الميزان»: (٤٣٦٧)، وابن عساكر في «تهذيب التاريخ»، والبيهقي في «الشعب»، والحديث فيه عبدالله بن سليمان النوفلي: مجهول، إذ أن مدار الروايات عليه، وأخطأ ابن الجوزي إذْ علله بآخرين ضعفاء، ولكن بعض الروايات خلت منهم، فالعلة في: النوفلي، والحديث ضعيف، ضعّفه الألباني - رعاه المولىٰ - في «فقه السيرة»: (٢٣).

(١) الضحىٰ: ١١.

النعمان بن بشير المرفوع: «**التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر**»[١]، وقال عمر بن عبدالعزيز: «ذكر النعم شكرها»[٢]؛ وكان يقول في دعائه: اللهم إنِّي أعوذ بك أن أُبدل نعمتك كفراً، وأن أكفرها بعد معرفتها أو أنساها فلا أثني بها»[٣]. قال فضيل: «كان يُقال: من شكر النعمة أن تحدث بها»[٤]؛ وجلس ليلة هو وابن عيينة يتذاكران النعم إلى الصباح[٥].

والشكر بالجوارح: أن لايستعان بالنعم إلاَّ على طاعة الله

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٤)، والبيهقي في «الشعب»، وفيه عمر ابن إسماعيل الهمداني، وهو متروك ــ وتابعه الخرائطي، من طريق الحسن ابن ناصح.
وكذا رواه أحمد: (٤/ ٢٧٨، ٣٧٥)، وفيه الجراح بن مليح، والد وكيع، وفيه ضعف، وكذا رواه أبو الشيخ في الأمثال (١١١)، فلعل الحديث يكون حسناً بهذه الطرق والمتابعات، والله أعلم.

(٢) قول عمر ذكره ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٨).

(٣) ذكره ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٨)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب».

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٦)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١٤)، و من طريقه البيهقي في «الشعب».

عـز وجل، وأن يحذر مـن استعمالهـا في شيء من معـاصيه؛ قـال تعالىٰ: ﴿**اعملوا آل داود شكراً**﴾[١]. قال بعض السلـف: «لما قيل لهم هذا؛ لم تأت عليهم سـاعة إلاَّ وفيهم مُصَلٍّ»[٢] وكان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه، وقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[٣].

ومر ابن المنكدر بشاب يقاوم امرأة، فقـال: «يابني ماهذا جزاء نعمة الله عليك»[٤].

العجب ممن يعلم أن كل مابـه من النعم من الله ثم لايستحي من الاستعانة بها على ارتكاب مانهاه:

هب البعث لم تأتنا رسـله ... وجاحمة الجحيم لم تضـرم

أليس من الواجب المستحق ... حياء العباد من المنعـم

---

(١) سبأ: ١٣.

(٢) ابن أبي الـدنيا فـي «الشكر» (٧٤)، ومن طـريقه: البيهقـي في «الشعب»، وإسناده صحيح.

(٣) هذا حـديث متفق عليـه، ورواه أحمد، والنسـائي، وابن مـاجه، والتـرمذي، وغيرهم كثيـر. رواه أكثر من ثمانية مـن الصحابة، وللحافظ ابـن حجر كلام لطيف في الفتح: (٣/ ١٥)، (١١/ ٣٠٥).

(٤) ذكره ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٦).

وحافظ عليها بشكـــر الإله فشكر الإله يزيل النقـــم[١]

دخل خالد بن صفـوان على عمر بن عبدالعزيز، فقـال: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يـرض أن يكون أحد فوقك، فـلا ترضَ أن يكون أحد أولى بالشكر له منك. فبكىٰ عمر حتى غشي عليه.

والأمر الثـاني: حسن العبـادة، وحسنها: إتقـانها والإتيـان بها على أكمـل وجوههـا، وإلى هـذا أشار ﷺ لمـا سألـه جبريـل عن الإحسان؛ فقـال: «**أن تعبـد الله كأنك تـراه، فـإن لم تكن تـراه فإنـه يراك**»[٢]. فأشار إلى مقامين:

أحدهما: أن يعبد العبد مستحضراً لـرؤية الله إياه، ويستحضر قرب الله منه واطلاعه عليه؛ فيخلـص له العمل، ويجتهد في إتقانه وتحسينه.

والثاني: أن يعبده على مشاهدته إيَّاه؛ فيعـامله معاملة حاضر لا معاملة غـائب، وقد وصَّى ﷺ رجلاً: «**أن يصلي صلاة مودِّع**»[٣]،

---

(١) هذا الشعر ذكره ابن القيم مراراً.

(٢) هذا جزء من حديث «الإيمان» المعروف، وهو حديث متفق عليه.

(٣) حديث «صل صلاة مودع»، له طرق كثيرة، وشواهد، أذكر بعضاً منها: =

يعني أَن يستشعر أَنه يصلي صلاة لايصلي بعدها صلاة أُخرى؛

= (أ) عن ابن عمر، رواه البخاري في التاريخ: (٣/ ٢/ ٢١٦)، والطبراني في «الأَوسط»، كما في مجمع البحرين (ص٤٨٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٩): وفيه من لم أَعرفهم». ورواه البيهقي في «الزهد الكبير»: (٥٢٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب»،وفي الحديث مجاهيل.

(ب) سعد بن أَبي وقاص، رواه الحاكم: (٤/ ٣٢٦ ــ ٣٢٧)، والديلمي في «مسند الفردوس»، وفيه محمد بن أَبي حميد، مجمع علىٰ ضعفه.

(جـ) سعد بن عمارة، (وكانت له صحبة)، الطبراني في «الكبير»: (٥٤٥٩)، ذكره الهيثمي مرتين بالمجمع: (١/ ٢٢٨)، وقال: «فيه عبيدالله بن سعد عن أَبيه»، لم أَرَ من ترجمهما، وفي: (١٠/ ٢٣٦)، ورجاله ثقات. وهذه الرواية حسنها ابن حجر في: «الإِصابة»: (٣/ ٧٠)، ولعلَّه صححها بالشواهد.

(د) أَنس، ذكره الديلمي في «مسند الفردوس»، وحسنه الحافظ ابن حجر، كما في «الجامع الكبير» للسيوطي، وصححه الأَلباني في «السلسلة الصحيحة»: (١٤٢١)، وعلته شبيب ابن بشر ـ وهو قليل الرواية، وثقه ابن معين، ولينه أَبو حاتم، وقال ابن حبان: «يخطىء كثيراً»، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يخطىء». وهذه الروايات تجعل لهذا الحديث أَصلاً صحيحاً، وله شواهد من رواية أَحمد: (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه: (٤١٧١)، وأَبو نعيم في «الحلية»: (١/ ٤٦٢)، وفيه عثمان بن جبير، وهو مجهول، والحديث صححه الأَلباني في «السلسلة»، برقم: (٤٠١)، (١٩١٤)، والله أَعلم.

فيحمله ذلك على إتقانها وتكميلها. وقد وردت أحاديث فضائل الأعمال مقيدة بإحسان العمل، كما في حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ: «**إذا أسلمَ العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحا عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلاَّ أن يتجاوز الله عز وجل**» خرجه البخاري تعليقاً، وفي رواية «**وقيل له: اسْتَأْنِف العمل**»[1].

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة**

---

(١) رواه النسائي: (٤٦٢٥ صحيح النسائي)، والبخاري معلقاً: (١/ ٩٨ الفتح)، وقال الحافظ: وصله أبو ذر الهروي في روايته للصحيح وغيره، ووصله الدارقطني في «غرائب مالك»، والبيهقي في «الشعب»، وصححه الحافظ، ومن قبله الخطيب البغدادي، فقال: «حديث ثابت، وسنده صحيح»، ومن بعدهم الألباني، كما في «السلسلة الصحيحة»: (٢٤٧)، وأحب أن أنوه إلى أن رواية البخاري ليس فيها ذكر الحسنة، ولكن الجميع على إثباتها. أزلَف بمعنى: أسلف وقدم: (الخطابي)، وقيل: جمع وكسب: (القاضي عياض).

ضعف؛ وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل»[١].

وفيه أيضاً: عن عثمان عن النبي ﷺ: **«مَنْ توضّأ فأَحسَنَ الوضوء خرجت خطاياهُ من جسدِهِ حتى تَخرُجَ من تحت أَظفاره»**[٢].

وفيه أيضاً: أن النبي ﷺ قال: **«من أَحسَنَ في الإسلام لم يُؤاخَذْ بما عمِلَ في الجاهلية، ومن أَساءَ في الإسلام أُخِذَ بالأَول والآخِر»**[٣].

وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد[٤] الإكثار منه، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان[٥]؛ قال بعض السلف: «إن الرجلين ليقومان في

---

(١) رواه مسلم (١٢٩)، وأحمد (٢/ ٣١٧)، عن أبي هريرة.

(٢) مسلم (٢٤٥)، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) مسلم (١٢٠) عن عبدالله.

(٤) ليست في الأصل.

(٥) ذكر ذلك عن علي رضي الله عنه، ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب «التقوىٰ» (وهو كتاب مفقود وتوجد نسخة لمختصره في رامبور): (الدر المنثور ٢/ ٢٧٤)، وكذا روي عن فضالة بن عبيد، رواه ابن أبي الدنيا في التقوى. الدر [٢/ ٢٧٤]، وكذا روي عن ابن عمر، رواه ابن عساكر، كما في الدر (٢/ ٢٧٤).

الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض؛ كم بين من تصعد صلاته لها نور وبرهان كبرهان الشمس، وتقول: حفظك الله كما حفظتني؛ وبين من تُلَفُّ صلاته كما يُلَفُّ الثوبُ الخلق ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني»[١].

ولهذا قال ابن عباس وغيره: «صلاة ركعتين في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه»[٢].

قال بعض السلف: «لايقل عمل مع تقوى؛ وكيف يقل ما يتقبل؟» يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾؛ ولهذا قال من قال من الصحابة: لو علمت بأن الله قبل مني ركعتين كان أحب إلي من كذا وكذا، فمن اتقى الله في العمل قبله منه[٣]، ومن

---

(١) هذا الأثر ورد مرفوعاً بسند ضعيف، رواه الطبراني في «الأوسط»: (١/ ٣٠٢)، المجمع وكونه أثراً عن السلف، أقرب للصواب.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة»: (٤٤)، وأبو نصر المروزي في «قيام الليل»: (ص١٣٢ مختصره)، وفيه محمد بن كثير، صدوق كثير الغلط، وفيه عطاء ابن السائب: صدوق اختلط، ورواه ابن المبارك في «الزهد» (ص٩٧)، وفيه رجل مجهول، ولفظه ركعتان، مقتصد أن فيهما تفكر.

(٣) هذه الأقوال عن الصحابة والسلف، هي التي ذكرناها آنفاً عن علي وابن عمر وفضالة.

لم يتقه لم يقبله منه.

والتقوىٰ في العمل: أن يأتي به على وجه إكمال واجباته الظاهرة والباطنة؛ وإن ارتقىٰ إلى الإتيان بآدابه وفضائله كان أكمل، في الملأ الأعلى، ومباهاة الملائكة. وقد يراد بالقبول: الثواب على العمل، وإن لم يرض به والقبول هنا يُراد به: الرضا بالعمل، والمدح لعامله، والثناء عليه، في الملأ الأعلى، ومباهاة الملائكة. وقد يُراد بالقبول: الثواب على العمل، وإن لم يرض به ولم يمدح عامله، فيجازى عليه بأنواع من الجزاء، فضلاً من الله وإحساناً، وإن لم يرض عن عامله[1]، كما رؤي بعض المفرطين في النوم فسُئِلَ عن حاله فقال: غفر لي وأعرض عني. وعن جماعة من العلماء لم يعملوا بعلمهم.

ويطلق القبول على إسقاط الفرض بالعمل، وإن لم يثب عليه بثواب غير سقوط العقوبة والمطالبة بأداء الفرض به، والعارفون كلهم إنَّما يطلبون القبول بالوجه الأول، وهو الرضا، ويخافون من فواته أشد الخوف، قال مالك ابن دينار: «وددت أن الله إذا جمع

(١) الكلام على قبول الأعمال، تكلم فيه شيخ المصنف الإمام ابن القيم في بداية كتابه: «الوابل الصيب»، وفيه تفصيل بديع.

الخلائق يقول لي: يـامالك، فأَقول: لبيك، فيـأذن لي أَن أَسجد بين يديه سجدة فـأَعرف أَنه قد رضي عني، ثم يقول: يامـالك، كن تراباً اليوم، فأَكون تراباً»[1].

وكان بعضهم يقول في سجوده:

متـــى أَلقاك وأَنت عنـي راضٍ وعذبني بكثرة الإِعـــــراض
واعتاض ولست عنه بالمعتاض يامن بوصاله شفىٰ أمراضـــــي
هل أَنت عليَّ ساخط أَم راضٍ

رضاه أَكبر من الجنة ونعيمها فليس للعارفين هم سواه.

لعلك غضبان وقلبي غافل سلام على الدارين إن كنت راضياً

وقولـه ﷺ: «**وأَسألـك قلبـاً سليمـاً ولسانـاً صـادقـاً**»؛ القلب واللسان همـا عبارة عـن الإِنسان؛ كمـا يُقال: الإِنسـان بأَصغـريه؛ قلبه، ولسانه. وخرَّج ابن سعد من رواية عروة بن الزبير مرسلاً[2]، أَن النبي ﷺ لما رأى أَشجّ عبـدالقيس، وكان رجلاً دميمـاً، فقال للنبي ﷺ: «**إِنَّه لايُستقىٰ فـي مُسُوْك الرجـال، إِنما يُحتاج من الـرجل إِلى**

(١) كلام مالـك بن دينار في السير: (٥/ ٣٦٤)، عن جعفر بـن سليمان، ولعله في كتابه: «المحبة» الذي ذكره ابن رجب في «الخشوع في الصلاة».

(٢) الطبقات (٥/ ٥٥٨) مرسـلاً من طريق عبدالله بـن الحكم وكأن ابن رجب ذهب طرفه إلى الحديث الذي سبقه فهو من مراسيل عروة.

أَصغريه؛ لسانه، وقلبه» وقال المتنبي[١]:

لسان الفتىٰ نصف ونصف فؤاده ولم يبق إلَّا صورة اللحم والدم

فمن استقام قلبه ولسانه استقام شأنه كله، فالقلب السليم هو الذي ليس فيه محبة شيء مما يكرهه الله، فدخل في ذلك: سلامته من الشرك الجلي، والخفي، ومن الأَهواء والبدع، ومن الفسوق والمعاصي؛ كبائرها وصغائرها الظاهرة والباطنة: كالرياء والعجب والغل والغش والحقد والحسد وغير ذلك. وهذا القلب السليم هو الذي لاينفع يوم القيامة سواه؛ قال تعالى: ﴿**يوم لاينفع مال ولابنون إلَّا من أَتى الله بقلب سليم**﴾[٢]. إذا سَلِمَ القلب لم يسكن فيه إلَّا الرب. في بعض الآثار، يقول الله: «وما وسعني سمائي ولاأَرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»[٣].

---

(١) هذا الشعر ليس للمتنبي؛ وإنما هو لزهير بن أَبي سلمىٰ.

(٢) الشعراء: ٨٨، ٨٩.

(٣) أَحسن ابن رجب في عزوه للإسرائيليات، كما ذكره ابن تيمية في: «أَحاديث القصاص» حديث رقم (١) والسخاوي في «المقاصد»: (٣٧٣)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة»: (١/ ١٤٨)، والعجلوني في «كشف الخفا»: (٢/ ١٩٥)، وعلي القاري في «الأَسرار المرفوعة =

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره
غاب عن سمعي وبصري فسويد القلب تبصره[١]

متى سكن في القلب غير الله؛ فالله أغنى الأغنياء عن الشرك، وهو لا يرضىٰ بمزاحمة أصنام الهوى:

أردناكم صرفاً فلما مزجتم بعدتم بقدر التفاتكم عنَّا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منَّا[٢]

سلامة الصدور من الرياء والغل والحسد والغش والحقد وتطهيرها من ذلك أفضل من التطوع بأعمال الجوارح، قال

= ص(٣١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (ص٢٣٦)، قال شيخ الإسلام: هذا مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ، ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي، وإلاَّ فمن قال: إن ذات الله تحل في قلوب الناس، فهو أكفر من النصارىٰ الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده.

(١) هذا الشعر نسبه القشيري في «الرسالة» للجنيد: (٢٣٨)، ولكن البيت الأول فقط.

(٢) هذا الشعر ذكره ابن رجب في «اللطائف»، وصححناه من هناك.

بعضهم[١]: «مابلغ عندنا من بلغ بكثرة صيام ولاصلاة، ولكن بسلامة الصدور وسخاوة النفوس، وكثرة أعمال الجوارح مع تدنس القلب بشيء من هذه الأوصاف لايزكو، وهو كزرع في أرض كثيرة الآفات لايكاد يسلم ما ينبت فيها».

وأما اللسان الصادق فهو من أعظم المواهب من الله والمنح؛ وفي الحديث: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب»[٢]. وكذلك اللسان الصادق أعظم.

وروى أبو نعيم بإسناده أن عبدالله بن عمرو بن العاص كان جالساً، فأقبل إليه تبيع الحميري، فقال عبدالله: قد أتاكم أعرف من عليها، فلما جلس قال له عبدالله: أخبرنا عن الخيرات الثلاث والشرات الثلاث، قال: نعم، الخيرات الثلاث: لسان صدوق،

---

(١) لعل هذا يشبه قول المزني: «ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه»، وهذا عند الحكيم الترمذي في «نوادر الأُصول».

(٢) هذا جزء من حديث النبي ﷺ في خطبته يوم تبوك، رواها البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٤١)، ونقلها عنه ابن كثير في «البداية والنهاية»: (٥/ ١٣، ١٤) وقال: «هذا حديث غريب، وفيه نكارة، وفي إسناده ضعف» وروي موقوفاً من قول علي، رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٨٠)، وعلى عبدالله بن مسعود (٤٨١).

وقلب تقي، وامرأة صالحة. والشرات الثلاث: لسان كذوب، وقلب فاجر، وامرأة سوء، فقال عبدالله: قد قلت لكم[١].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإنَّ الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإيَّاكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقاً. ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّاباً**»[٢]. وفيه أيضاً عن النبي ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[٣]. أساس النفاق الذي بني عليه، كما أن الصدق أساس الإيمان.

قال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[٤].

---

(١) هذا في «الحلية»: (١/ ٢٨٧).

(٢) رواه البخاري: (١٠/ ٤٢٣)، ومسلم: (٢٦٧)، وغيرهما.

(٣) رواه البخاري: (١/ ٨٣، ٨٤)، ومسلم: (٥٩)، وغيرهما.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٤٥)، وعبدالله بن المبارك في «الزهد» (٤٩١)، ووكيع في «الزهد» (٣٩٥ ـ ٣٩٦)، وهناد في «الزهد». =

قال كعب بن مالك: «إن من توبتي أَلا أُحدِّث إلاَّ صدقاً؛ قال: وإنَّما نجاني الله بصدق»[١].

قال بعضهم: «حقيقة الصدق أَن يصدق العبد في موطن يرى أَنه لاينجيه فيه إلاَّ الكذب»[٢].

وكان الربيع بن حراش موصوفاً بالصدق، يُقال: إنه لم يكن يكذب قط، وكان له ابنان عاصيان للحجاج، وكان يطلبهما، فقدما على أَبيهما. فبعث الحجاج إلى الربيع وقال: سيعلم بنوعبس أَن شيخهم اليوم يكذب. فقال له: أَين ابناك؟ قال: تركتهما في البيت،

= وقال السيوطي في «الدر»: (٣/ ٢٩٠): رواه سعيد بن منصور، وابن أَبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أَبي حاتم، وابن عدي، وأَبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» وكذا أَخرجه البخاري في «الأَدب المفرد»: (١٠٥)، والطبراني في «الكبير»: (٩/ ١٠٢).

(١) هذا جزء من حديث كعب بن مالك، في حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله، وأنزل الله فيهم آيات سورة التوبة: ﴿لقد تاب الله على النبي... ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ والحديث في البخاري، وغيره.

(٢) هذا هو قول الجنيد كما في «الرسالة القشيرية» (ص١٦٦)، ويُروى قريباً منه عن أَبي سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ في «الرسالة» (١٦٥).

والله المستعان، فقال: قد عفونا عنهم بصدقك[١].

ومتى طهر اللسان من الكذب طهر من غيره من الكلام السيء المحرم واستقام حال العبد كله؛ ومتى لم يستقم اللسان فسد حاله كله. وربما يعبر عن صدق اللسان باستقامة المقال كله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾[٢]. وقوله: ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا﴾[٣]. يريد: ثناء عليهم.

وكما تنقسم الأَعمال إلى صدق وغير صدق؛ والمراد بالصدق: ماله نفع ودوام، فكذلك أَقوال الصدق قد يُراد بها ما هو حق، له نفع وثبات.

وجاء من حديث أَنس مرفوعاً: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**» خرجه الإمام أَحمد[٤]، ويروى من حديث أَبي سعيد رفعه: «**إذا أَصبح ابن آدم**

---

(١) ابن أَبي الدنيا في «الصمت» (٤٥٤)، وفي «مكارم الأَخلاق»، وابن حبان في «روضة العقلاء» (٥٤)، وأَبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٦٨).

(٢) الشعراء: ٨٤.

(٣) مريم: ٥٠.

(٤) رواه الإمام أَحمد: (٣/ ١٩٨)، وابن أَبي الدنيا في «الصمت»: (٩)، =

فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا[١] » خرجه الترمذي وصحح وقفه. وقال مطرف: «من صفا عمله صفا لسانه، ومن خلط خلط له»[٢].

وقال يونس بن عبيد: «مارأيت أحداً لسانه منه على بال إلاَّ

= والخرائطي في «مساوىء الأخلاق» والبيهقي في «الشعب». وفيه علي بن مسعدة الباهلي، وبه ضعف وتدليس قتادة، وقد عنعن ورواه هناد في «الزهد» عن الحسن مرفوعاً، والله أعلم.

(١) رواه أحمد: (٣/ ٩٦)، والترمذي: (٢٤٠٧)، وابن المبارك في «الزهد» (١٠١٢)، ورواه كذلك أحمد في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في «الورع»: (٩١)، وفي «الصمت» (١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣١٦)، وهناد بن السري في «الزهد»، ورجح الترمذي وقفه على حماد بن زيد، والحديث فيه أبو الصهباء لم يوثقه غير ابن حبان، والحديث عزاه السيوطي لابن خزيمة، وللبيهقي، وحسنه الألباني، في صحيح «الجامع الصغير»، وصحيح الترمذي. إلاَّ أنه أحال تفاصيل الحديث إلى مشكاة المصابيح، «التحقيق الثاني»، والذي لم يُطبع للآن.

(٢) مطرف بن عبدالله بن الشّخّير أبو عبدالله البصري، ثقة عابد فاضل، مات سنة: ٩٥هـ قوله رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٧٨)، ورواه في الحلية: (١٠/ ٣٩٥)، دون ذكر اللسان.

رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله»[١].

ومن مراسيل زيد بن أسلم: «مامن عضو من الأعضاء إلاَّ وهو يشتكي إلى الله مايلقى من اللسان على حدته»[٢].

---

(١) يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، مات سنة: ١٣٩هـ، أخرج له الجماعة، وقوله أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦٥٧)، روىٰ قريباً منه أبو نعيم في الحلية: (٣/ ٢٠): عن يونس بن عبيد .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٣)، وفي «الورع» (٩٢)، وفيه: عبدالرحمن بن زبان الطائي، ذكره الخطيب: (١٠/ ٢٦٧ ــ ٢٦٨)، ولم يذكر فيه جرحاً ولاتعديلاً، لكن عبدالرحمن تابعه موسىٰ بن محمد بن حيان عند أبي يعلىٰ في مسنده: (٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧)، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٠٢): رجاله رجال الصحيح غير موسىٰ بن حيان، قلت: «لكن موسى بن محمد تكلم عليه أبو زرعة كما في «الجرح» (٨/ ١٦١)، وقال الخطيب في «تاريخ بغداد»: (١٣/ ٤١): «أحاديثه مستقيمة»، وقال الذهبي عنه في «الميزان»: (٤/ ٢٢١): ضعّفه أبو زرعة ولم يترك. ورواه ابن السني وآخرون بسند آخر، لكن فيه مجهول، والحديث جوده ابن كثير وغيره، والحديث رواه آخرون ، ذكرهم الألباني ـ بارك الله في علمه وعمله ــ في «السلسلة الصحيحة»، وصححه: (٢/ ٦١)، والله أعلم، قال ابن رجب: «إنَّ الحديث من مراسيل زيد بن أسلم، وهذا وهم منه، فقد رواه كل المذكورين موصولاً، والله أعلم.

قال الحسن: «اللسان أمير لأعضاء البدن، فإذا جنى على الأعضاء جنت، وإذا عفَّ عفت»[١].

وقد روي عن طائفة من السلف، أن اللسان ترجمان القلب، والقلب ملك الأعضاء، وبقية الجوارح جنوده، فإذا صلح الملك وترجمانه صلحت الجنود كلها، وإذا فسد فسدت الجنود كلها[٢]. فإذا كان الملك سليماً من الهوىٰ، والترجمان صادقاً أميناً، فالرعية في عافية. وإن كان الملك جائراً، والترجمان غير أمين، فلا تسأل عن فساد حال الرعية معهما؛ ومتى كان الترجمان غير أمين، فقد يلبس، ولكن حال الجائر لايخفىٰ.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[٣].

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٩).

(٢) لعل في قول علي رضي الله عنه الذي رواه في كتاب «الصمت» (٥٨)، معنى قريباً من هذا المعنى: اللسان قوام البدن؛ فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم يقم له جارحة.

(٣) الحديث متفق عليه.

وقد تقدَّم حديث أَنس المرفوع: «لايستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». وفي المسند أَيضاً عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه**»(١).

وفي سنن ابن ماجه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قلنا: يارسول الله، من خير الناس؟ قال: «**ذو القلب المخموم واللسان الصادق**» قلنا: قد عرفنا اللسان الصادق، فما القلب المخموم؟ قال: «**هو التقي النقي الذي لاإثم فيه ولاغل ولابغي ولا**

---

(١) رواه الإمام أَحمد: (١/ ٣٨٧)، قال الهيثمي في «المجمع»: (١/ ٥٣): «رواه أَحمد، وإسناده: بعضهم مستور، وأَكثرهم ثقات». وقال أَيضاً: (١٠/ ٢٢٨): «ورجاله وثقوا، وفي بعضهم ضعف»، وقال أَيضاً: (١٠/ ٢٩٢): «رواه البزار، وفيه من لم أَعرفهم»، قال ابن حجر في «هامش مجمع الزوائد» معترضاً علىٰ الهيثمي: «كلهم معروف والآفة من الصباح». وهو الصواب؛ إذ أَن الصباح بن محمد البجلي رواه عن مرّة عن ابن مسعود، والصباح اتهمه ابن حبان برواية الموضوعات، وجهله ابن أَبي حاتم، وقال الذهبي في «الميزان»: (١/ ٣٠٦): «رفع حديثين، هما من قول عبدالله بن مسعود. والصباح مجهول، له أَوهام في الرفع، وفي هذه الأَحاديث التي رفعها بنفس هذا السند مما رواه في الترمذي عن مرة عن ابن مسعود: «استحيوا من الله حق الحياء». واستغربه، والله أَعلم.

حسد»[١]. وفي المسند عن أَبي ذر عن النبي ﷺ قال: «**قد أَفلحَ من أَخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أُذنه مستمعة، وعينه ناظرة؛ فأَما الأُذن فقمع، والعين مقرة بما يوعي القلب، فقد أَفلح من جعل قلبه واعياً**»[٢]. وفي حديث ابن عباس أَن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**وسدد لساني واسلل سخيمة صدري**»[٣]. خرجه الترمذي.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٦)، وإسناده صحيح، ورواه آخرون بزيادة كأَبي نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب»، والخرائطي في «مكارم الأَخلاق»، والحديث صحيح، يراجع «السلسلة الصحيحة» (٩٤٨).

(٢) رواه أَحمد (٥/ ١٤٧)، والبيهقي في «الشعب»، قال الهيثمي في «المجمع»: (١٠/ ٢٣٢): «إسناده حسن»، وقال المنذري: (١/ ٥٦): إسناد أَحمد يحتمل التحسين».
وليس كما قالا؛ فإن الحديث من طريق خالد بن معدان عن أَبي ذر، وخالد يرسل عن أَبي ذر، ولم أَجد له شاهداً ولا متابعاً، لذا فالحديث ضعيف، ضعفه الألباني ـ رعاه المولى ـ في ضعيف «الجامع الصغير».

(٣) رواه الإمام أَحمد (١/ ٢٢٧)، وأَبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٨٣٠)، والبخاري في «الأَدب المفرد» (٦٦٦)، وابن حبان (٢٤١٤) موارد، ورجاله رجال الصحيح، سوىٰ طليق بن قيس، وهو ثقة، والحديث صححه الترمذي والألباني وغيرهما، والله أَعلم.

وسخيمة الصدر: ما فيه من الغل والغش والحسد ونحو ذلك.

قال خالد الربعي: «أَمر سيدُ لقمان لقمانَ بذبح شاة، وقال له: ائتني بأَطيبها مضغتين، فأَتاه باللسان والقلب، فقال له: أَما وجدت فيها أَطيب من هذين؟ قال: لا. ثم أَمره بذبح شاة أُخرى، وقال: أَلق أَخبثها مضغتين، فألقى اللسان والقلب، فقال: أَما كان فيها أَخبث من هذين؟ قال: لا فسأله عن فعله الأَول والثاني، فقال: إِنه ليس شيء أَطيب منهما إِذا طابا، ولا أَخبث منهما إِذا خبثا»[١].

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد يدل الرجال على عقله[٢]

إِذا سلم القلب وصدق اللسان؛ ترجم اللسان الصادق عن القلب السليم بأَنواع السلامة؛ فهذا المسلم الذي سلم المسلمون من لسانه ويده. وإِذا فسد القلب؛ فسد اللسان فترجم عن القلب بأَنواع الفساد؛ وهذا الفاجر المعلن بفجوره. فإِن ترجم عن القلب الفاسد بالسلامة، فهذا اللسان الكذوب، وهو المنافق الذي

---

(١) ذكره عن خالد الربعي أَحمد في «الزهد» في «زهد لقمان» (ص٦٥).
(٢) الشعر لعبدالله بن المبارك كما في «الصمت» (٦٩٥).

يختلف ظاهره وباطنه، وقوله وفعله. يامن يقول بلسانه ما ليس في قلبه، لاتبع ماليس عندك، لاتنسب أَحكام فرعون إلى موسى.

وقوله ﷺ: «**وأسألك من خير ما تعلم، وأَعوذ بك من شر ما تعلم**». هذا سؤال جامع لطلب كل خير، والاستعاذة من كل شر، وسواء علمه الإنسان أَو لم يعلمه. وهذا السؤال العام بعد سؤال تلك الأمور الخاصة من الخير هو من باب ذكر العام بعد الخاص.

وقد كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويأمر بها، كما خرجه الإمام أَحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، من حديث عائشة، أَن النبي ﷺ علَّمها هذا الدعاء: «**اللهم إِنِّي أَسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أَعلم، وأَعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أَعلم؛ اللهم إِنِّي أَسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك، وأَعوذ بك من شر ماستعاذ منه عبدك ونبيك اللهم إِنِّي أَسألك الجنة وما قرب إِليها من قول وعمل، وأَعوذ بك من النار وما قرب إِليها من قول وعمل، وأَسألك ماقضيت لي من قضاء أَن تجعل عاقبته رشداً**»[1].

---

(١) رواه الإمام أَحمد (٦/ ١٣٤، ١٤٧)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، والبخاري في «الأَدب المفرد» (٦٣٩)، وابن حبان (٢٤٦٣ ـ موارد)، وأَبو يعلىٰ (٤٤٧٣)، =

وخرَّجه الحاكم، وعنده أَن النبي ﷺ قال لها: ياعائشة، عليك بالكوامل، وذكر الحديث[١]. وخرجه الفريابي[٢] في كتاب الدعاء، وفي رواية لـه أَن النبي ﷺ قال لها: يـاعائشة، عليكِ بالجـوامع من الدعاء، فذكره.

وخرج الترمـذي من حديث أَبي أُمامة قـال: دعا رسول الله ﷺ بدعـاء كثير لم نحفظ منه شيئـاً، فقلت: يارسول الله، دعوت بـدعاء كثيـر لم نحفظ منـه شيئاً، فقـال: «**أَلا أدلكم بمـا يجمع ذلك كلـه؟ نقول: اللهم إنـا نسألك خير مـا سألك منه نبيك محمـد ﷺ، ونعوذ بك من شر مااستعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأَنت المستعان، وعليك البلاغ، ولاحول ولاقوة إلَّا بالله**»[٣].

= والحاكم (١/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والحديث صحيح كمـا فـي «السلسلـة الصحيحـة» (١٥٤٢)، وقـال: ورد فيـه قـول البوصيري في الزوائد، لقوله: إن الحديث فيه مقال، ورد مقاله.

(١) الحاكم (١/ ٥٢١ ـ ٥٢٢).

(٢) للفـريابي كتـاب «الذكـر» ذكر ذلـك ابن حجر فـي «الفتح»: (١٣/ ٥٤٥)، وفي «تخريج الأَذكار» «والإصابـة» (٢/ ٨٢٢)، والسيوطي في «الدر المنثور: (٢/ ٨٣٨).

(٣) الترمذي (٣٥٢١)، وقال: حسن غريب. ولكنه ضعيف، والله أَعلم.

وسمع سعد بن أبي وقّاص ابناً له يدعو، يقول: اللهم إنِّي أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها، ونحواً من هذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها؛ فقال: لقد سألت الله خيراً كثيراً وتعوذت بالله من شر كثير، وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء** ـ وقرأ هذه الآية ـ ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنَّه لايحب المعتدين**﴾ **وإن بحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل**»[(١)]. خرجه الإمام أحمد.

وخرج الطبراني وغيره من حديث أُم سلمة، أن النبي ﷺ كان يقول في دعاء له طويل: «**اللهم إنِّي أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه**»[(٢)]. وخرج أبو داود من حديث

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٤٨٣ ـ ١٥٨٤. ط أحمد شاكر)، وفيه جهالة مولى سعد، قال الأثرم: «سألت أحمد عنه فقال: «ماأدري»، وقلت له: «روىٰ حديث سعد أن النبي ﷺ قال: «يكون بعدي قوم يعتدون في...» فقال: «نعم، لم يقم إسناده». والحديث ضعفه العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله في تعليقه علىٰ المسند: (٣/ ٤٧)، أما الدعاء فثابت من حديث معاذ المشهور «دندنة معاذ» والله أعلم.

(٢) حديث أُم سلمة رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ رقم٧١٧)، وفي الأوسط: =

عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع مابين ذلك»[١].

قوله ﷺ: «**وأستغفرك لما تعلم، إنَّك أنت غلاَّم الغيوب**». ختم الدعاء بالاستغفار، فإنه خاتمة الأعمال الصالحة، وقوله: «**وأستغفرك لما تعلم**» جميع مايجب الاستغفار منه من ذنوب العبد، وقد لايكون العبد عالماً بذلك كله، فإن من الذنوب مالا يشعر العبد بأنه ذنب بالكلية؛ كما في الحديث المرفوع: «**الشرك أخفىٰ في هذه الأُمة من دبيب النمل على الصفا**» قالوا: فكيف نقول يارسول الله؟ قال: «**قولوا: اللهم إنَّا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لانعلم**»[٢].

= (مجمع البحرين ٤٥٤) باختصار قال في «المجمع» (١٠/ ١٧٧): «وإسناد رجاله ثقات» وهو جزء من حديث طويل، وفيه عاصم بن أبي عبيد،ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»: (٦/ ٣٤٩)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(١) أبو داود (١٤٨٢)، وسنده صحيح.

(٢) الحديث رواه أحمد: (٤/ ٤٠٣)، والطبراني في «الكبير» من أبي موسىٰ الأشعري، والحديث صحيح، لولا أبا علي من بني كاهل، الذي حدث عن أبي موسىٰ وهو تابعي، ذكره ابن حبان في الثقات، وللشطر الأول منه شواهد كثيرة، والله أعلم.

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت**»[١].

ومن الذنوب ما ينساه العبد ولا يذكره وقت الاستغفار، فيحتاج العبد إلى استغفار عام من جميع ذنوبه، ما علم منها وما لم يعلم، والكل قد علمه الله وأحصاه؛ فلهذا قال: «**وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب**». قال الله تعالى: ﴿**يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه**﴾[٢].

قال إبراهيم التيمي[٣]: لأنا على ذنوبي التي لا أذكرها أخوف مني على الذنوب التي أذكرها؛ لأني أستغفر الله من التي أذكرها.

من أهمته ذنوبه صارت نصب عينيه ولم ينسها، ومن لم تهمه ذنوبه؛ هانت عليه فنسيها، فلم يذكرها إلى يوم يتذكر الإنسان وأنَّى له الذكرى؛ إذا نشر ديوان السيئات ضج أرباب الجرائم من

---

(١) حديث عائشة معروف، متفق عليه.

(٢) المجادلة: ٦.

(٣) هو: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، العابد الثقة، كوفي، يكنى «أبو أسماء»، مات سنة: ٩٢هـ وله أربعون سنة، وأخرج له الجماعة.

صغارها قبل كبارها، ويقولون: ﴿**يا ويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلاَّأحصاها**﴾[١].

قال ابن مسعود: «إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنه في أَصل جبل يخاف أَن يقع عليه، وإن الفاجر يرىٰ ذنوبه كذباب طار على أَنفه فقال به هكذا.

قال عون بن عبدالله[٢]: «جرائم التائبين منصوبة بالندامة نصب أَعينهم، لاتقر للتائب في الدنيا عين كلما ذكر ما اجترح على نفسه».

قال الفضيل: «بقدر مايصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر مايعظم عندك يصغر عند الله»[٣].

قال كعب: «إن العبد ليعمل الذنب الصغير فيحتقره ولايندم عليه ولايستغفر الله منه فيعظم عند الله حتى يكون مثل الطود؛ ويعمل الذنب العظيم فيندم عليه ويستغفر منه فيصغر عند الله

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) هو: عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، ثقة عابد، مات قبل سنة: ١٢٠هـ وكلامه هذا ذكره أبو نعيم في الحلية: (٤/ ٢١٥).

(٣) قول الفضيل في السير للذهبي: (٨/ ٤٢٧).

حتى يغفر له، قال: وأَصاب رجل ذنباً فحزن عليه فجعل يجيء ويذهب ويقول: بِمَ أَرضي ربي؟ فكتب صِدِّيقاً».

قال أَبو أَيوب الأَنصاري: «إن الرجل ليعمل المحقرات حتى يأتي الله وقد أحطن به، ويعمل بالسيئة، فيفرق منها حتى يأتي الله آمناً».

قال بعض السلف: «إن الرجل لتعُرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيرىٰ ذنباً، فيقول: ما بي، كنت مشفقاً منك، فيغفر له»[1].

وقال بعضهم: «كفاك همك بذنبك من توبتك إقلاعاً وإنابة».

قال الأوزاعي: «كان يُقال: من الكبائر: أَن تعمل الذنب فتحقره» ومن هنا قال بعضهم: «لاتنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر من عصيت»[2]. وقال أَويس لهرم بن حيان: «لاتنظر إلى صغر ذنبك، ولكن انظر من عصيت؛ فإن صغرت ذنبك فقد صغرت الله،

---

(١) هذا قول عروة بن عامر كما في «الزهد» لابن المبارك: (١٦١).

(٢) ينسب هذا حديثاً إلى الرسول ﷺ، ولكنه موضوع، والصحيح أَنه قول بلال بن سعد، كما حققه العقيلي في: «الضعفاء»، في ترجمة غالب بن عبيدالله، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٢٨٨)، وقول بلال ثبت في «الحلية»: (٥/ ٢٢٣).

وإن عظمت ذنبك فقد عظمت الله».

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: «من ذكر خطيئة عملها فوجل منها قلبه فاستغفر الله منها لم يحبسها شيء حتى يمحوها عند الرحمن».

قال الفضيل في قوله تعالى: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ قال: «هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها».

كان السلف لقلة ذنوبهم يعدونها، قال رياح القيسي[1]: «لي نيف وأربعون ذنباً قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة». ركب ابن سيرين الدَّين فقال: «هذا بذنب أذنبته منذ أربعين سنة، قلت لرجل: يامفلس»[2] فذكر ذلك لأبي سليمان، فقال: قَلَّتْ ذنوبهم

---

(١) هو رياح بن عمرو القيسي العابد البصري، صاحب رابعة العدوية، زاهد قليل الحديث، قيل إنه سمع من الحسن البصري، انتقد في الحديث، وله بعض البدع الزهدية، «حلية الأولياء»: (٦/ ١٩٢ ــ ١٩٧)، «ميزان الاعتدال»: (٢/ ٦١ ـ ٦٢)، وكلامه الذي ذكره المصنف في «الحلية»: (٦/ ١٩٤).

(٢) كلام ابن سيرين في «الحلية»: (٢/ ٢٦٦).

فعرفوا من أين أتوا، وكثرت ذنوبنا فلم نعرف من أين نؤتىٰ»[١]. كان معروف الكرخي رحمه الله ينشد:

أي شيء تريد مني الذنـــوب شغفـــت بي فليس عني تغيب

ما يضر الذنوب لو أعتقتنـــــي رحمة لي فقد علاني المشيب[٢]

ما للمذنبين أحد يرجعون إليه غير الله، وإلى ذلك أشار بقوله: **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾**[٣].

ما يؤمل الخطاؤون إلا رحمة من أسبل على خطاياهم ذيل الكرم فسترها، لولا أن حلمه وسع الخلق لهلكوا.

قال هارون بن رئاب: «حملة العرش ثمانية يتجاوبون بالتسبيح، يقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، ويقول الآخرون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد

---

(١) كلام أبي سليمان الداراني في «الحلية»: (٢/ ٢٧١).

(٢) الشعر ذكره ابن الملقن في «طبقات الأولياء»: (٢٨٣)، عن معروف.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٥.

قدرتك؛ لما يرون من ذنوب بني آدم»[١].

قال محمد بن النصر الحارثي: «أصبت في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم، لو يعلم الناس منك ما أعلم لنبذوك، فقد سترت عليك وغفرت لك ماكان منك ما لم تشرك بي شيئاً»[٢].

وفي الصحيحين، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «**إن الله ليُدْني العبد يوم القيامة فيضعَ عليه كنَفَه فيقرره بذنوبه، فيقول: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ فلا يزال يقرره، حتى إذا رأى أنه قد هلكَ قال له: إنِّي قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**»[٣].

---

(١) هارون بن رئاب التميمي الأسيدي أبو بكر، ويُقال: أبو الحسن العابد البصري، ثقة، اختلف في سماعه من أنس، أخرج له مسلم وغيره. وقوله هذا رواه أبو الشيخ في «العظمة»: (٣/ ٩٥٤)، وكذا ذكره البيهقي في «الشعب»، وعزاه السيوطي في «الحبائك في ذكر الملائك» (ص٤٧) إلى ابن المنذر، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٤)، عن حسان بن عطية، وأورده عبدالرزاق في تفسيره، من طريق: هارون بن رئاب عن شهر بن حوشب، من قوله: ملاحظة: كلهم ذكروا حملة العرش ثمانية، ومن يقول أربعة منهم، فلعلَّ ابن رجب أو الناسخ وهمَ في هذا.

(٢) ذكره أبو نعيم في «الحلية»: (٨/ ٢٢٢).

(٣) هذا حديث رواه البخاري (٢٤٤١، ٧٥١٤، ٦٠٧٠، ٤٦٨٥)، ومسلم: (٢٧٦٨)، وأحمد: (٢/ ١٠٥)، عن ابن عمر.

وفي رواية: «**يأتي الله يوم القيامة بالمؤمن فيقرِّبُه حتى يجعله في حجابه من جميع الخلق، فيقول له: اقرأ، فيعرف ذنباً ذنباً، أتعرف؟ أتعرف؟ فيقول: نعم، نعم. ثم يلتفت العبد يمنة ويسرة، فيقول الله: لابأس عليك ياعبدي، أنت في ستري في جميع خلقي، ليس بيني وبينك اليوم أحد يطلع على ذلك غيري، اذهب فقد غفرتها لك اليوم بحرف واحد من جميع ماأتيتني به؛ قال: ماهو يارب؟ قال: كنت لاترجو العفو من أحد غيري**»[1].

إخواني: هب أنه تجاوز عن الزلل، فأين مايلقاه العاصي عند تقريره بذنوبه من الحياء والخجل؟ العارفون ليشتد قلقهم من الحياء من الله عند الوقوف بين يديه. قال بعضهم: مايمربي أشد من الحياء من الله. وكان الفضيل يقول: واسوأتاه منك وإن غفرت. وقال غيره: لو خُيرت أن أبعث فأوقف بين يديه ثم يأمربي إلى الجنة، وبين أن لاأبعث؛ لاخترت أن لا أبعث ولاأُريد الجنة. وقال آخر: لو أمربي من الموقف إلى النار لكان أهون عليَّ من أن يقفني بين يديه ثم يأمربي الى الجنة.

قال أبو هريرة: يُدني الله العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه

(١) هذه الرواية أخرجها الطبراني وأبو الشيخ عن ابن عمر.

فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول: اقرأ يا ابن آدم كتابك، فيقرأ، فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسرُّ بها قلبه، فيقول الله: أتعرف ياعبدي؟ فيقول: نعم، فيقول: إني قبلتها منك، فيسجد. فيقول: ارفع رأسك وعد في كتابك. فيمر بالسيئة فيسود لها وجهه ويوجل منها قلبه، وترعد منها فرائصه، ويأخذه من الحياء من ربه مالايعلمه غيره، فيقول: أتعرف ياعبدي؟ فيقول: نعم يارب أعرف، فيقول: إني قد غفرتها لك، فيسجد فلا يرىٰ منه الخلائق إلاَّ السجود، حتى ينادي بعضهم: طوبىٰ لهذا العبد الذي لم يعصِ الله قط، ولايدرون ماقد لقي فيما بينه وبين الله عزوجل فيما قد وقفه عليه:

أستغفر الله مما يعلم الله ... إن الشقي من لايرحم الله
هبه تجاوز لي عن كل مظلمة ... ياسوءتا من حيائي يوم ألقاه
ما أحلم الله عمن لايراقبه ... كُلٌّ مسيءٌ ولكن يحلم الله
أستغفر الله مما كان من زلل ... طوبى لمن كف عما يكره الله
طوبى لمن حسنت سريرته ... طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

آخر الكلام على الحديث، والحمد لله، وصلى الله على محمد وسلم.